يوسف شرورو

مجلة الوطن العربي

أنا واحد من الكثيرين الذين عاشوا في ظلال مجلة « الآداب » .

كنت صغيرا وفقيرا ادرس في مدينة دمشق ، واعيش في شارع بغداد ، واشرب من ينابيع المجلة الصافية ، حيث تنقلني من مكان الى مكان في أجزاء الوطن العربي ، ولهذا فهي مجلة الوطن العربي .

كنت أذهب في مطلع كل شهر الى مكتبة «التونبكجي» لامد له يدي « بفرنكين » دون ان اقول كلمة واحدة . يناولني مجلتي ، فأعود مسرعا الى البيت ، وتلهث عيناي خلف كلمات القصص العربية القصيرة ، ثم انتقل الى حدائق الشعر ، ومن ثم أقرأ الابحاث ، وفي الصباح احمل المجلة لكي اعيدها الى المكتبة . فلم اكن أملك النقود لشراء المجلة والاحتفاظ بها . كنت استأجرها لليلة واحدة.

وهكذا بدأت قصة الحب بيني وبين الذين يخرجون المجلة ويكتبون فيها . كنت أتخيلهم واحادثهم واناقشهم كأنهم يعيشون معي ، وكنت أزهو فخرا بنفسي حين أسير برفقة الاصدقاء في شوارع دمشق ، أحدثهم عن قراءاتي في مجلة « الآداب » .

وفي بداية الستينات ذهبت الى الكويت لاعمل مدرسا هناك . ومن هناك بدات اشتري المجلة واحتفظ بها ، فهي حبي الذي يلازمني في حرارة الصحراء وقلة الاصدقاء ، ثم انطلقت لاشتري منشورات دار الآداب ، فتعرفت على روايات وقصص صاحب المجلة ، وعشت زمنا طويلا مع « جان بول سارتر » و « سيمون دي بو فوار » وصرت احتفظ بدواوين عبد الوهاب البياتي وفدوى طوقان ، وعشت مع قصص الدكتور يوسف ادريس ، ومقالات محمود أمين العالم ومحيي الدين صبحي ، واعجبت بقصص العراق ، وتمنيت لو اكتب مثلها .

وكانت شعارات الوحدة العربية تترجم وتنشر في المجلة ، فقد كانت علامة من علامات الوحدة المميزة ، وأنا هنا لا أبالغ .

وأصبحت « الآداب » ومنشوراتها الرافد الكبير الذي وضع حجر الاساس في ثقافتي الادبية ، وبجانبها انطلقت لأقرأ الآداب العالمية المترجمة ، ثم نشر فجأة كتاب بعنوان « اللامنتمي » جعلني ارتجف وانا أطالعه . فحدثت اخوتي وامي بأنني أرغب في السفر الى انكلترا لدراسة القانون الدولي في جامعة لندن ، وقدمت استقالتي من عملي .

اذكر انني ذهبت الى بيروت لاستقل الباخرة « اسبريا » ومعي مجلة الآداب والحي اللاتيني واللامنتمي واباريق مهشمة و « وجدتها » ، وكنت في تلك اللحظة اعيش عالم الحلم الحقيقي .

نعيش عالمين ، عالم الضجة والحياة ، وعالم القراءة والكلمات . وانا مزود في رحلتي الى مدن الضباب بكلمات الذين أحبهم واحببتهم من خلال مجلتي .

كتبت بعض القصص القصيرة ، ونشرتها في مجلات عربية ، ولم أرسلها الى مجلة « الآداب » لخوفي من عدم نشرها .

وفي لندن تعرفت بمؤلف « اللامنتمي » واصبحت أعيش الحرية معه ، ومع جيل الادباء الغاضب ، أعتبروني من مجموعتهم . وفي صبيحة يوم نسيته ، جاءتني رسالة خضراء حلوة من الصديق ياسين رفاعية ، يطلب فيها ان اقوم بكتابة مقابلة طويلة مع مؤلف « اللامنتمي » ، وكنت في تلك الفترة قد أنهيت قصة قصيرة بعنوان « عائم في لندن » ، أرسلتها بكل جراة وشجاعة الى صاحب مجلة « الآداب » ، وأرسلت المقابلة مع كولن ولسون الى مجلة « المعرفة » السورية .

كنت فرحا كالطفل الصغير بهدايا العيد . فقد نشرت « عائم في لندن » بالآداب ، ونشرت المقابلة في مجلة « المعرفة » ، في شهر واحد ، وتمنيت لو كنت في ذلك الوقت أسير على أرصفة عربية .

وبعد فترة قصيرة ، كتبت للدكتور سهيل ادريس عن انني انجزت ترجمة رواية « ضياع في سوهو » ، فطلبها برسالة حلوة شجعتني على استمراري بالكتابة ،

وكنت في تلك الفترة أتردد على مكتبة جامعة لندن لقراءة مجلة « الآداب » ، وأصبحت أنشر قصصا قصيرة في المجلة ، ثم أصابني الهلع من حريتي اللاهادفة ، والتي كنت اعيشها في لندن مع كولن ولسون . تحدثنا في هذا ، وقرر أن يغادر لندن ليعيش مع زوجته الثانية وأولاده في « كرومول » ، وجلست أنا وحيدا في منتصف الستينات ، أكتب القصص وأترجم كتبه .

نشرت مجموعة قصصية بعنوان « زورق من دم » دون ان اعرف شكل وجه الدكتور سهيل ادريس ، وكانت رسائله مشجعة ، حتى انني كتبت في الاهداء :

« أحب يا أم ، سهيل ادريس بحبه اللاتيني ، بدمعه المر ، بخندقه الفميق ، بقصته القصيرة المسماة «التفاهة» برسائله الحنونة الانيقة التي شحنتني بدفء حياتي مستمر ، وقتلت حزن الانسان المتألم فيّ » .

من هنا بدأت العلاقة التي أمسكت بيدي لتعبر بي عبر بوابة الكلمة .

كنت أعده بانجاز ترجمة « أصول الدافع الجنسي » ، وأغيب عن وجه الارض ، لأدفن نفسي في غرفة صغيرة لأبدأ الترجمة ، ثم أهرب ، فالترجمة عملية سخيفة مؤلمة ، تجعلني أحسّ بالوحدة ، وأمقت وجودي . وتتأخر رسائلي ، فيكتب الرسائل التي يصفني فيها بالبوهيمي ، بالضائع ، بالكسول . أقرأ الرسائل وأبتسم ، ثم أعود الى الترجمة التي أمقتها كالطاعون .

وبعد حرب ١٩٦٧ كتبت قصتين ، أرسلتهما اليه ، فلم تنشر واحدة منهما . لم اغضب ولم أحزن . كتبت قصة ثالثة فلم تنشر لانها عاطفية وفيها مرارة .

ثم تقابلنا في مكتبه الصغير . كنت أتخيل مكتبه كبيرا فاخرا ، وكنت أتخيل سكرتيرة مثقفة تجلس خلف آلة كاتبة ، تأخذ اسمك قبل أن تسمح لك بالدخول .

دخلت الى مكتبه أشعر بانرهبه ، فسوف اقابل مؤلف « الحي اللاتيني » وصاحب مجلة « الآداب » ، النبع الذي شربت منه وما زلت . مددت يدا مرتجفة وقلت بلهجة فيها لهفة كل الاعوام التي عشتها في الغربة :

ـ أنا يوسف شرورو .

ابتسم وجهه ، ولمعت اشراقة حية في عينيه ، وتركز الحب في قلبي لهذا الانسان الذي عاش حياته يحمل الكلمة العربية المتألقة فوق رموش عينيه ليضعها بفخر ومهابة على صفحات مجلة الوطن العربي .

شعرت بانني أستطيع أن احدثه . وفي تلك اللحظة احسست بأنني أعيش عالم الحلم الحقيقي . وزهوت قليلا ، فأنا أحدث انسانا قاد جيلا من الشباب ، وما زال الرائد الذي يصدر مجلته من مكتب متواضع جدا .

سألني وهو يتفحصني :

ـ ما الذي حملك الى بيروت ؟

ـ جئت لكي أقابلك وأتعرف عليك من قرب .

وحين عدت الى دمشق ، سألتني أمي كعادتها :

ـ من قابلت في بيروت ؟

ـ الدكتور سهيل ادريس صاحب مجلة «الآداب» .

ـ انه صديقك .

أجبت بسرعة : ـ نعم انه صديقي .

وتوالت الايام ، وأصابت المجلة محنة مادية ، كتبت له رسالة طويلة اعرض المساعدة ، يجب ان لا تتوقف المجلة الشريان الذي يمدنا بدم الحياة . فأرسل رسالة طويلة طويلة ، سوف انشرها في يوم من الايام ، بعد موافقته .

وخلال الاحداث الاخيرة ، جاءني صوته عبر الهاتف يسأل كيف انت ، فأجبت بسرعة : ـ كيف المجلة ، يجب أن لا تتوقف .

وفي تلك اللحظة تذكرت كيف جعلني أعيد كتابة الفصول الاولى من روايتي « الحزن يموت أيضا » ، فقد كانت عملية قاسية ومملة . وتذكرت الايام والليالي الطويلة التي عاشها الانسان العربي عبر التصدع العربي في لبنان .

فرحت حين قال عبر الهاتف من باريس :

ـ قد أصدر المجلة من باريس ، ولكن الاخبار جيدة وسوف تعود المجلة الى بيروت .

وبقيت أنتظر ، وينتظر الآخرون أيضا .

أمامي الآن رسالة مكتوبة على أوراق مجلة «الآداب» من بيروت ، بتاريخ ٢٨ ـ ١٠ ـ ٧٧ ، الكلمات فيها تحمل بشرى الايام القادمة :

« أوشكنا الآن على اعداد عدد خاص من « الآداب » بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على صدورها . لا بد أن نلتقي قريبا . فقد اشتقت اليك ، وستصلك المجلة ابتداء من العدد القادم » .

انا من جيل هذه المجلة التي رفعت شعارا قوميا ، وما زالت ترسل اشعاعها العربي الحضاري فوق سماوات المدن العربية .

انا من الذين تثقفوا من كلماتها ، ومن منشورات دار الآداب ، وصاحبها لا يملك الا الجهد والتعب والسمعة الادبية الجيدة .

المجلة ، صوت يجب أن يستمر عبر الايام المضيئة والحالكة ، وأرجو أن يعذرني الاخوة والاصدقاء ، ان ظهرت عاطفيا ومشحونا بالفرحة حتى الثمالة لاعادة صدورها ، فأنا أعتبرها الهواء والماء والشريان الدموي ، فذكرياتي مع المجلة وصاحبها ، هي ذكريات حياة خصبة ، فمنها تعلمت قيمة الكلمة المكتوبة ، وعلى صفحاتها انطلقت أكتب كلمة المعاناة . وبدونها أشعر ان حياتنا مغلقة ، وبصدورها من جديد أحس انني أعيش عالم الحلم الحقيقي ، وعالم الحياة الحافلة بالانتاج والجهد .

لندن — **يوسف شرورو**